

لاجئة ولكن !!

رواية

طليمة رمضان

NEW
2021



لا جئة ولكن!!

حليمة رمضان..

أهدي هذه الرواية للعالم أجمع لأنني
أرغب أن يصل صوت اللاجئين
لأبعد مدى

وأهديها لنفسي التي تجرأت وكتبت
ولو جزء بسيط من تلك المعاناة
الحقيقية التي تعاش كل يوم
أهديها لكل لاجئ ولاجئة قوية
إهداء خاص للشقيقة الصغيرة بالعمر
الكبيرة بالفكر أختي هبة...

لاجنة ولكن

مقدمة

إنها ليست المرة الأولى التي أغوص فيها بعالم الكتابة بين القلم والورقة أو بين لوحة مفاتيح هاتفي لأكتب ...

لكن إنها المرة الأولى التي أتجراً فيها وأخطو خطوة نحو كتابة كتاب ولو كان قصير لأنني لا أملك خلفية كافية عن كتابة الكتب مثل الكُتّاب

لأنني كنتُ من هواة كتابة الخواطر القصيرة التي كنت أرى فيها ملجأً وملاذً حين ضعفي وحتى قوتي في أوقات لا أملك فيها القدرة على الحديث حتى مع نفسي لذلك الخاطرة

القصيرة كانت كفيلة لأن أنفض غبار
الصمت بين الورقة والقلم
نعم إنها أنا حلا

تتوييه: جزء كبير من مضمون هذه
الرواية واقعي ولكن للخيال أيضاً
نصيب للتتوييه فقط .

من هذه الحياة

طفلة أنا كباقي الأطفال في هذه الحياة
ليس هناك من غريب بدأت حياتي
بالصرخة الأولى حين أنجبتني أمي
إنها الصرخة التي استقبلتني فيها
الحياة دون إدراك لأي شيء من
حولي ملاك صغير لا يعلم عن هذه
الحياة شيء سوى النوم والطعام
لم أكن في ذلك الوقت أملك لغة تعبير
سوى البكاء حتى أحصل على ما
أريد أو إنها الإشارة الوحيدة التي
يمتلكها كل طفل رضيع حتى يشعر
من حوله به .

أنا أمل عمري ٢٥ عاماً لست أدري
إن كنت أملك من اسمي نصيب ولكن
سأغوص بذاكرتي وسأبدأ من
طفولتي حتى أصل إلى يومنا هذا

بعد الصرخة الأولى بدأت تسير بي
الحياة يوماً بعد يوم كنت في ذلك
الوقت أي قبل ٢٥ عاماً كاللعبه
الصغيرة بين يدي والديها ينتظرون
منها الابتسامة الأولى، الخطوة
الأولى، الكلمة الأولى

كل ذلك دون معرفة مني كطفلة
أنني أفعل شيء مميز لغيري

ولكن أمل الطفلة كانت مصدر سعادة
لمن حولها دون أن تدري
لأنها صغيرة ابتسامتها سعادة لمن
حولها أو لنقول لأبويها القريبين منها
دائماً.

أمل صغيرة جداً

في السابعة من عمرها وباعتقاد الجميع أنها طفلة فقد كانت تمتلك أمل ذاكرة فوتوغرافية أي أنها لا تنسى أي شيء تراه ويبقى محفور بذاكرتها لم يكن أحد يعلم أنها تمتلك تلك الذاكرة وحتى إن علموا فهذا لا يعني شيئاً بالنسبة للكثير لظنهم أن الذاكرة الفوتوغرافية أمر طبيعي فكل إنسان يمتلك ذكريات وماضي يحاول استرجاعه دائماً

لكن أمل كانت تعاني لأن الإنسان لا يجب أن يذكر كل شيء يدور حوله دائماً

ولأنها لم تكن تعيش تلك الحياة
الوردية كانت ترغب أيضاً بعدم
التذكر الدائم وخاصة بعد وفاة والدها
في سن التاسعة من عمرها

بدأت أمل تكتشف ما تملكه من
مخيلة يصعب عليها أن تنسى أو
تجاهل فيها شيئاً
حتى أصغر التفاصيل كانت تدور
بمخيلتها وكأنها تحدث معها الآن

قسوة مجتمع

إننا جميعاً نعلم أننا نعيش بمجتمعات
رغم كل العلم والتطور الذي وصلنا
إليه إلا أن لا زال الجهل والتخلف
غالب أكثر على قسم كبير من
مجتمعنا

بعد وفاة والد أمل الصغيرة لم يتبقى
لها سوى والدتها التي كانت لها
العون في هذه الحياة

ولكن العبء كان ثقيل على والدتها
وكانت أمل تحمل معها ذلك الثقل
دون أن تدري أمها لأنها كانت
تحاول التظاهر بالقوة دائماً ولكن
غالباً ما كان يغلبها ضعفها وتنتهار
بالبكاء على وسادتها بصمت كل ليلة

ولكن أمل كانت تتصت بصمت
وتسجل بذاكرتها المواقف وكأنها
كتاب مسطرة سطور ه كل ليلة تقرأها

كانت تحاول جاهدة فهم ما يدور
حولها ولكن الأم كانت تريد أن تبعد
طفلتها عن كل المتاعب ولكن فضول
أمل يدفعها دائماً لأن تكتشف سبب
بكاء أمها

ضغط نفسي

بعد ٥ شهور من وفاة والد أمل بدأت
ضغوط الحياة أكثر على والدة أمل
من جانب كانت تريد الحفاظ على
ابنتها وتقديم حياة كريمة ولو بسيطة
لطفلتها ومن جانب آخر ضغط
المجتمع عليها

ولأننا نعيش بمجتمع شرقي وأنا
أرفض هذا المسمى رفضاً قاطعاً لأن
هذا المجتمع فيه من المتعلمين من
كافة الخبرات ويمتلك من التكنولوجيا
والتطور ما يكفي ولكن للأسف يعاني
من سوء إدارة ومسمى مجتمع شرقي
جاء من عقول متخلفة ترفض التغيير

بحجج كثيرة ورغم اختلاف آرائنا
وتمسكنا بتغيير ما غرسه المجتمع
القديم في عقول كل جيل لا ذلنا لا
نمتلك تلك القدرة لأننا وللأسف
نحارب عادات وتقاليد من مئات
السنين خلفتها عقول كانت بحاجة إلى
إعادة تأهيل لذلك والدة أمل كانت
ضحية ذلك المجتمع وأمل أيضاً
تحملت ذلك العبء أيضاً

هاتف في منتصف الليل

في هذه الليلة جافاني النوم لم أكن
أدري لماذا ولكن بعد سماعي لتلك
المكالمة بين والدتي وجدتي على
الهاتف أدركت أن الله كان يريد لي
أن اسمع هذا الهاتف وما دار من
حديث حتى أكون على علم بالحقيقة
الكاملة

نعم الحقيقة التي أرادت أمي إخفاءها
عني وهي أنها كانت مجبرة على أن
تتركني عند جدتي والدة أبي رحمه
الله

الحقيقة التي زيفتها جدتي لي أن أُمي
أرادت تركي بكامل إرادتها
ولكن لم يكونوا يعلموا أنني أعلم كل
ما دار في هذه الليلة

حقد بداخلي

صغيرة أنا على الحقد ولكن هذه
حقيقة أشعر أنني أكبر من سن ١٠
سنوات زرعتُ بداخلي حقد ليس
على أمي لأنها ضعيفة ولكن حقدني
كان على المجتمع على جداتي
الاثنتين

جدتي والدة أمي كانت في تلك الليلة
على الهاتف تطلب من أمي العودة
إليهم خاصة أن أمي انتهت من عدة
وفاة أبي ولكن طلبت منها العودة
بدوني أنا لأنهم يرغبون بتزويجها
بحجة الستر عليها وأن المجتمع
يرفض أنا تكون في منزل لوحدها

مع ابنتها وأن هذا ليس من عاداتنا
وتقاليدنا سحراً لهذه العادات التي
حرمتمني أمي سنين طوال

سوف تسألون أنفسكم لماذا لم تأخذني
أمي حتى وإن تزوجت ولكن في تلك
المحادثة على الهاتف كان أول شرط
لهذا الرجل أنه لا يريد وجودي بينهم
ولكن أمي رفضت رفضاً قاطعاً لا
تريد التخلي عني هذا ما جعلني لا
أكره أمي لأنني علمت أنها تحبني
سمعت يوماً جدتي ترغم أمي على
القبول ودموعي تسيل على وجنتاي
خوفاً من ما سيحدث لي فقد فقدت

والذي من فترة ليست ببعيدة ولا أريد
أن أفقد والدتي

جدتي كانت قاسية على أمي طلبت
منها العودة بدوني وللأسف أنها
مضطرة لترك المنزل لعدم مقدرتنا
على دفع آجاره فإما أن نبقى بالشارع
وإما أن تقبل والدتي

سمعت غصة أمي وهي تقول حاضر
سوف آتي عندكم ودموعها تفيض من
عينها

أغلقت الهاتف ركضت لفراشي حتى
لا تراني أمي وإذ بلمسة حنان على

رأسي أيقنت أنني سأفتقدها همست
في أذني أمي وقالت

سامحيني يا طفلي ما سأقوله في
الصباح لكي هو كذبة مجبرة عليها
إنما الحقيقة هي الآن لا أريد التخلي
عنكي ولكني مجبرة ولكن لن أنساك
وسأعود لأحتضنك بين ذراعي ولكن
أتمنى منك في ذلك الوقت الصفح
والمغفرة

رنين تلك الكلمات في أذاني يرن إلى
الآن

يوم الفراق

في صباح اليوم التالي استيقظت بين
أحضان والدتي وأنا أعلم أنه
ينتظرني خبر لن يكون جيد بالنسبة
لي أحضرت أمي الفطور الأخير
وقالت طفلي أنا مضطرة للسفر
ولكن لا أستطيع أن آخذك معي يجب
أن أعمل حتى أستطيع دفع أجار هذا
المنزل ولكن حصلت على عمل
خارج البلاد ويجب عليك البقاء عند
جدتك (والدة أبي) حتى أعود نظرت
في عيون أمي وتظاهرت بالقوة
وكان هذا الشيء طبيعي وقلت أجل
يا أمي سأنتظر حتى تعودي ولن
أجعل جدتي تغضب مني

قلتُ هذا الكلام ولكن كل لحظة وكل
كلمة كانت في الليلة الماضية
محفورة بذاكرتي
ذهبت لجدتي وذهبت أُمي كانت
لحظة لا تُنسى مليئة بالدموع
ضعف أُمي وقلة حيلتها واضح في
عينها ولكن هذه هي الحياة

الأسبوع الأول

نعم أسبوع واحد مر وأنا ملتزمة
الصمت في منزل جدي لاحظ
الهمسات من حولي يصعب عليهم
اخباري بما حدث ولكن أنا أعلم
وأدرك كل شيء

يتهامسون عن عدم سؤال أمي عني
واختفاؤها لأنهم مازالوا لا يعلمون
أنها سوف تتزوج ولكني أنتظر
وأشاهد ماذا سوف يحدث

لا أعلم إن كان هذا صحيح ولكن
كنت أشعر أنني سأمر بأصعب أيام
عمري

مر شهر على غياب أمي وإذ يأتون
بخبر زواجها لم أحزن لأنني كنت
أعلم بهذا وأعلم أن أمي وعدتني بأن
تعود

غضب عائلة أبي منها جعلهم يكتنون
لها الكره وأرادوا حرمانها مني إن
حاولت طلب لقائي
مرت سنة وأنا أعيش يوماً يتلوه يوم
أشعر وكأنني ثقيلة الحمل على عائلتي
ولكن ما بيدي حيلة

رسالة من أمي

بعد سنة من الغياب أسمع صوتاً على
الباب سرقت السمع وإذا بجدي تسأل
ساعي البريد ما هذا يقول رسالة
لأمل تسأله من من قال من أمني
(أمي)

تعجبت من نفسي وأنا ثابتة مكاني لم
أحرك ساكن ولكن للحظة راودني
أحساس أن عليّ أن أختبئ كي لا
تشعر جدتي أنني علمتُ بوصول
هذه الرسالة كنت أريد أن أعرف هل
ما زالوا حاقدين على أمي أم لا
دخلت جدتي المنزل مسرعة عند
جدي وقالت اقرأ لنا ماذا يوجد في
هذه الرسالة

في الرسالة اشتياق وتبريرات لبعدها
لأنها لا تعلم أنني قد لمستها العذر مع
أنني أحياناً أقول ليتها لم تتخلى عني
ولو كنا سنعيش في خيمة صغيرة
على حافة الطريق ولكن غلبها
ضعفها وقسوة أهلها

المهم في هذه الرسالة كانت تطلب
مقابلتي وأن أذهب إليها كل ليلة
جمعة وأنا كنت سعيدة وأريد مقابلة
أمي ولو يوم واحد

جدتي قررت أن لا تعطيني هذه
الرسالة وبدأت بتحريضي على أمي
نادتني في المساء وقالت لي أمكي
تزوجت وتخلت عنكي ولا تريد
مقابلتك حتى سألتها كيف علمتي ذلك
ردت لقد وصلتنا رسالة بالبريد
وقراها جدك ومن غضبه قام بحرقها
لذلك يا طفلي قومي بحذف أمك من
ذاكرتي ولا تعاودي السؤال عنها

كيف لي أن أنساها وأنا أمتلك ذاكرة
فوتوغرافية تجعلني أذكر أدق
التفاصيل

كيف لي أن أنساها وأنا أعلم أنها
مظلومة ممّن حولها مظلومة من
المجتمع الذي غرس في عقول أهاليها
كثير من الأمور الخاطئة ومنها
المرأة يجب أن يُستر عليها بعد وفاة
زوجها أو حتى طلاقها

على فراش الموت

مثل كثير من الناس الذين يخبئون
الأسرار ويتحملون أعباءً قاسية
أحياناً سواء بإرادتهم كانت أو لا
وعندما يصلون لمفترق طريق
يشعرون أنهم راحلون يقرون
ويعترفون بما يخفون

هذا ما حصل مع جدتي على فراش
الموت بدأت تشعر أنها على خطى
قليلة من الموت فالمرض بات ينهك
جسدها الكبير

إنها النهاية التي لا نستطيع نكرانها
لأننا جميعاً سنصل لتلك اللحظة
لحظة الموت

قبل أن تلتقط أنفاسها الأخيرة
أخبرتني جدتي عن والدتي وعن تلك
الرسالة التي تم حرقها أخبرتني
حقيقة كل ما دار وكل ما كنت على
علم به ولكن ألتزمت في ذلك الوقت
الصمت لأنني كنت صغيرة في عمر
١٠ سنوات وأنا الآن تبقى لي من
الشهور القليلة حتى أصل لسن الثامنة
عشر فقد كنت أنتظر هذا العمر
بفارغ الصبر لأستطيع أن أتخذ
قرارتي بنفسني لأكون أكثر واقعية
لأتمرد على واقعي الذي فرض عليّ

طلبت مني المسامحة والصفح كان
بداخلي الكثير والكثير من الكلام
لأقوله لها ولكن شعرت بلحظة أنني
لا أرب أن أكون قاسية وأن أصب
كل شعور غضبي وحقدي في بعض
الأوقات عليها وهي على فراش
الموت

نظرت في عينيها وقلت لها
ستذهبن لصاحب الملك وعند الله لا
يضيع حساب

لم استطع أن أسامح لأنني كنت أعلم
بمعاناة أمي وأنا من عانيت أكثر من
الحرمان ليس فقط حرمان الأم
حرمان كل شيء لأنني كنت أشعر
بالثقل على من حولي

رددت مرة أخرى سامحيني رددتُ
مرة أخرى ستذهبين لصاحب الملك
وعند الله لا يضيع حساب أغلقت
عينها للمرة الأخيرة ورحلت عن
هذه الحياة

متمردة

انتظرت طويلاً ما يقارب العشرة
سنوات حتى أصبح بعمر أستطيع فيه
أخذ القرار بنفسى ثمانية عشر كان
حلم اتمنى وصوله بأسرع وقت وها
هو اليوم عيد ميلادى الذى لم أحتفل
به منذ فراقى عن أمى

اليوم قمت بدعوة جميع أفراد العائلة
لأحتفل بنفسى وأنا أعلم أنهم لا
يحبون رؤيتى وخاصة زوجات
أعمامى لأننى متفوقة على بناتهم

رغم كل الصعاب التي مررت بها
حاولوا دائماً كسري وتحطيم
معنوياتي بإلقاء الكلام وهم
يستهزءون بي و بأمي وأنا ملتزمة
الصمت ولكن حان الآن دوري لأرد
القليل من الاستهزاء

في يوم عيد ميلادي هذا صدرت
نتيجة البكالوريا وكنت من الناجحين
وبتفوق ويحق لي أن أدخل الجامعة
بأي فرع أريد وكنت متخذة القرار أن
أسجل في كلية الطب

مع العلم أنني سمعت جدي يتحدث
مع زوجة عمي ذات يوم وهي
تعرض جدي أنني يجب حين أن

انتهي من البكالوريا يجب أن اتزوج
ولا أكمل دراستي بحجة الستر علي
كما فعلت عائلة أمي سابقاً

حرموني إياها بحجة الستر زوجها
ولم يسألوا حتى شعورها المهم الآن
قمت بدعوة جميع أفراد العائلة
هم يظنونه احتفالاً ولكن بالواقع
بالنسبة لي هو يوم تمرد على الجميع
تمرد على الواقع على المجتمع وحتى
على نفسي الصامته

انتصار

نعم بالنسبة لي إنه انتصار عليهم بعد
أن اجتمع الجميع وهم يتمتمون بين
بعضهم البعض وبعد أن كان هناك
اثنتين من بنات أعمامي قد سقطوا
في امتحان البكالوريا والجميع ينتظر
نتيجتي

وقفت أمامهم جميعاً تلك الوقفة التي
تمنيتها منذ عشر سنوات وقفت
مرتدية لباس باللون الأسود وعيوني
واضح عليها البكاء بالنسبة لي إنها
المرّة الأولى التي يكون فيها هذا
البكاء فرحاً ولكنهم ظنوا العكس

أنا اليوم أقف أمامكم لأحتفل
بمناسبتين اثنتين الأولى عيد ميلادي
والثانية هي نجاحي في البكالوريا
وقبولي بكلية الطب

فجأة اسمع صوت واحد يقول ومن
قال أنك ستكملين دراستك
" أنا من قالت وأنا من ستنفذ "
"كلا يجب أن تتزوجي "

صمت عشر سنين خرج في تلك
اللحظة

"من قال أنني أقبل بالزواج من قال
أنني أنتظر موافقة منكم على إكمال

الدراسة من قال أنني سأبقى تحت
رحمة جهلكم وتخلفكم "

قلت لزوجة عمي
" اسمعيني جيداً اذهبي وزوّجي ابنتك
فهي لم تنجح مثلي "

أنا في هذه اللحظة لم أقصد التباهي
ولكن كنت أريد أن أعامل مثلما
عاملوني سابقاً

رفعت يدها لتضربني على وجهي
ولكن مسكت يدها بقوة جعلتها
ترتجف خوفاً

"لست أُمي لترفعي يدك وتضربيني
لم ولن أسمح لأحد أن يرفع يده علي"

تراجعت للوراء ووقفت بجانب جميع
الموجودين الذين كانوا ينتظرون
جدي بأن يأخذ القرار بحقي وهم
مبتسمون ظناً منهم أن جدي
سيكسرني

وقف جدي أمامي ونعتني بقليلة
الأدب وقال

"أحمدي الله أنني كنت موافق على
دراستك حتى البكالوريا"

وكانه مفضل علي نظرت بعينيه بكل
قوة هذه المرة وفي خيالي استعيد

بلحظة كل يوم كنت اسمع فيه جدي
وهو كاره وجودي عندهم ولكن
مجبر على ذلك خوفاً من كلام الناس

بالنسبة لي كانت لحظة النهاية لم
أسأل فيها عن حياتي إن كنت
سأموت بضربة منه لا يهم المهم أنني
سأتمرد سأغلب كل من ينتظر كسري
كانت كلمة جدي في تلك اللحظة
قاسية جداً جعلتني أكون بجوابي أكثر
قساوة عندما قال لي
" أذهبي إلى المطبخ منذ هذه اللحظة
أنت خادمة الجميع "
وسط ضحكات وشماتة الجميع

ههههههه ضحكة ساخرة لجدي رغم
قساوة كلمته

"جدي أنا لم أعد أمل الصغيرة لست
الصامته دائماً والمطبعة كل تلك
الصفات دفنتها تحت سابع أرض
حتى وصلت هذا اليوم حياتي ستسير
بدون وجودك ووجود أولئك الواقفين
خلفك

لن أسمح لك بأن تخرب حياتي
سأكمل دراستي التي وصلت إليها
سأخرج من هذا المنزل وأجعل جميع
الناس يتكلمون عليك أنت سأجعلك
تعيش ما تبقى من حياتك مزلولاً
لأنها المرة الأولى التي يقف أمامك
أحد ويعصي أمرك

سأعيش حياتي كما يحلو لي"
وأنا انظر بعيون الجميع من حولي
وهم في صدمة غير متوقعة ولكن
كان شكلهم مفرح بالنسبة لي لم
يستطيع تحمل ما قلت وكيف وقفت
أمامه وبصوت مرتفع أجبته
كان يظن أنه سيمنعني بالقوة ولكن
فجأة قرع الجرس وإذ بالشرطة تدخل
المنزل لأنني أنا من اتصلت بهم قبل
نصف ساعة من مواجهتي مع العائلة
كنت أرغب الخروج من البيت
بسرعة وأن يكون هناك حماية لي

وفي تلك اللحظة التي خرجت فيه من
ذلك الباب اعتبرت نفسي انني
انتصرت عليهم

سمعت الكثير من الكلام ولكن كانت
قاعدتي في هذه الحياة إرضاء الناس
غاية لا تدرك كنت أريد إرضاء
نفسي فقط

مقابلة أمي

على الرغم من معرفتي أن أمي
كانت مجبرة على ما فعلت ولكن كان
بداخلي عتب عليها جعلني أكون
باردةً تجاهها في أول لقاء عتب على
ضعفها الذي جعلها تتخلى عني ولكن
حفاوة لقاء أمي وبعد بضعة ساعاتٍ
من اللقاء وتبادل الحديث عما كان
يدور سابقاً وأنا أنظر بعيني أمي التي
كانت تظن أنني كارهةٌ لها وأنني لا
أصدق ما تقول نظرت إليها ومن ثم
أغمضت عيني وبدأ فلم الحياة من
أول ليلة سمعت فيها تلك المحادثة
على الهاتف حتى لحظة تمردي على
عائلة أبي

لم أكن أشعر أنني عندما أغمضت
عيني كنت أسرد لها كل التفاصيل
التي دارت في حياتي وعن معرفتي
بما حدث عندما فتحت عيني كانت
بحالة صدمة أنني أذكر أدق التفاصيل
طبعاً لأنها لم تكن تعلم بذاكرتي
الفوتوغرافية بدأت تسألني بعض
الأسئلة عن حالي وأحوالي وإن كنت
مسامحة لها

طبعاً أنا مسامحة لها ولكن لم أكن
أرغب بأن أخرب حياة أمي مع
زوجها الذي لم يرغب سابقاً بوجودي
فقلت لأمي أنني وجدت منزل صغير
سأعيش فيه وأعمل حتى أكمل
دراستي

ولكنها رفضت وقالت ستعيشين معي

فأنا أعيش لوحدي منذ سنة

ما لم أكن أعلم به هو وفاة زوجها

بجاءت سير وسبحان الله لم ترزق

بأطفال من زوجها رحمه الله

بداية جديدة

إنها الليلة الأولى مع أمي عاهدتني
في تلك الليلة أن تكون قوية ولا
تتخلى عني مرة أخرى كنت أصدقها
لأن الحياة علمتها أن لا تكون ضعيفة
وأن لا تصمت عن حقها مهما كلفها
الثمن

بدأت دراستي في كلية الطب وكانت
أمي سعيدة لإنجازي وأنا لم استسلم
لواقعي الماضي انهيت السنة الأولى
بمعدل ممتاز وكانت الحياة تسير
بشكل طبيعي

ولكن فجأة وأنا في منتصف السنة
الثانية من دراستي حصل ما لم يكن
بالحسبان شيء غريب بالنسبة لي

هذا الحدث غير مجرى حياتي و حياة
الكثير من الناس في بلدي .

تنويه: من هنا مرحلة الحرب حتى
اللجوء سأكتب فيه واقع حقيقي ولكن
لن أنحاذ لأي طرف كان معارض أو
موالي لأنني لا أرغب بإثبات أنني
على حق أو أنهم على حق أود فقط
تسليط الضوء على قضية حقيقية
يتاجر فيها العالم بكلامٍ منمقٍ فقط
دون حل جذري لما حدث ولا زال
يحدث

حرب سوريا

أمرٌ غريبٌ حربٌ بين ليلة وضحاها
فجأة وعلى التلفاز نرى مظاهرات
من جهة ومسيرات من جهة أخرى
ظننت نفسي بأنني في العراق أو
فلسطين

كنت أقول أن هذا الشيء بعيد عنا
كثيراً ولن يحدث أي شيء عندنا
ولكن كان هذا خطأ لأنه فجأة بدأت
تمتد تلك الحالة لجميع أرجاء البلد
وتحولت تلك الحالة من مظاهرات
ضد الحكومة والمسيرات المؤيدة
للحكومة إلى حرب ريحها دم بكل
مكان

أطراف كثيرة في هذه المعركة بدأت
تظهر الطوائف المختلفة

الفتاوي الدينية التي باتت تحل ما
يحرم الله وتحرم ما أحل الله

أصوات الانفجارات القذائف اليدوية
المميتة في كل مكان

حالة من الخوف والرعب تعم المكان
بدأت الحياة تتراجع للوراء أصبحنا

نشعر دائماً أننا على حافة هاوية في
أي لحظة ممكن أن نسقط فيها أكملت

السنة الثالثة من دراستي بصعوبة
بالغة بسبب تأزم الوضع

معاناة كثيرة مررنا بها

وكاننا اعتدنا على مشاهدة المشاهد
الصعبة حتى أمام أعيننا بسبب
التفجيرات

أشلاء الضحايا متناثرة دماء الأبرياء
في كل مكان قافلات الشهداء المحملة
على الأكتاف تزف بالرصاص
أصوات الأمهات التكالى والأطفال
الأبرياء

لاحظنا كثرة مشاهدتنا لأشخاص
ذوي الاحتياجات الخاصة بسبب ما
خلفته القذائف والصواريخ الفتاكة
سابقاً كنت أرى شخص معوق من
ذوي الاحتياجات الخاصة كانت
تغص الدمعة بعيني وأقول دائماً
بسري شفا الله ذلك المريض

أما في هذا الوقت أينما كنا نذهب
نرى أكثر من حالة مختلفة من
الإصابات المؤلمة لا زلت أدعوا الله
بسري بشفائهم ولكن أشعر وكأننا
تعودنا على هذا الحال

ينتابني الفضول دائماً لمعرفة السبب
وصول هؤلاء الأشخاص لهذه الحالة
ولكن خجلي من أن أجرح شعور أحد
يلزمني الصمت والنظر بحرقه كبيرة
عندما أضع نفسي مكانهم

لقد نجاني الله مرتان من أن أكون في
تلك الحالة أو حتى أن أكون في عداد
الأموات بسبب الرصاص الطائش
في الجو دائماً

أزمات

أزمة وراء أزمة والحال يزيد قساوة
فقدان الخبز الخضار الفاكهة لأيام
كثيرة وعند توفر ما ذكرت فقد
يصعب على الإنسان الشراء بسبب
غلاء الأسعار الفاحش أو الانتظار
لساعات طويلة على دور يمكن أن لا
يصل إليك ولكنك مجبر على
الانتظار لتأمين رغيف خبز لأطفالك
الصغار قطع الكهرباء والمياه فقدان
الغاز وأبسط أمر الحياة تنفقد وتعود
ولكنها تفقد أكثر من أن تعود

هذه الكلمات مختصرة جداً لأن معاناة
سنين لا تختصر بسطرين ولكني
أختصر موجز صغير عن تلك

الأحداث القاسية الموت أصبح عادةً
يومية جفت دموع الكثير لكثرة البكاء
على الأخ والصديق والجار والقريب
الأكثر قساوة أنّ الموت أصبح تجارة
أسعار القبور لا تصدق في الحقيقة
كل ما دار ويدور في هذه الحرب
حقيقة لا تصدق

نزوح

إنها المرحلة التالية الصعبة مرحلة
النزوح الداخلي بحثاً عن مناطق أكثر
أمناً

بدأ الحال في منطقتي يزداد صعوبة
يوماً بعد يوم

ولم يكن باستطاعتنا سوى أن نحزم
الحقائب ونبحث عن مكان أقل
خطورة وهذا ما حدث بالفعل وجدنا
مكان لم يصل إليه الضرب كثيراً
واستأجرنا غرفة واحدة أنا وأمي لأن
أسعار أجار البيوت لا يصدقها عقل

بعد ثلاثة شهور قررت أنا وأمي
زيارة بيتنا لأخذ بعض الأغراض
ولكن كانت الصدمة أن المنزل
مسروقة جميع أغراضه ليس منزلنا
فقط كل المنازل الخالية من أصحابها
تمت سرقتها ليس بيدنا حيلة عدنا إلى
تلك الغرفة بخيبة أملنا مما يحدث
ولكنه واقع للأسف
لمن سنحاسب لا أدري
ولكن الوضع خرج عن السيطرة
وتطول الأيام وتزداد المعاناة إنها
النهاية في هذا البلد

لم يتبقى لنا ماء نشربه في هذه البلاد
مجبزين على الرحيل مجبرين على
مالا نطيق رغم عشقي لوطني ولكن
ما باليد حيلة لم يتبقى لنا حل سوى
المغادرة

لجوء

لحظة لم أكن أتخيلها يوم لحظة كنت
أتمناها أن تحدث ولكن ليس بهذه
الطريقة حزم الحقائق ومغادرة البلد
نهائياً لست أدري إن كان سيكتب الله
لي الرجعة

كنت أتمنى دائماً السياحة والسفر
ولكن ظروف حياتي كانت لي عائقاً
دائماً

ولكن كنت أتمنى الرجعة دائماً لأنني
لا أنكر خير بلدي عليّ

ولكن في هذه الرحلة كانت لنا بداية
حياة جديدة بمكان جديد أفضل

هكذا كنا نظن

الكثير من الناس ومن بينهم نحن
قررنا الهرب نعم الهرب ولكن ليس
من الموت كما كان يقول أغلب
الهاربين

لأنني مؤمنة أن الموت مكتوب علينا
ولو أينما كنا وفي قوله تعالى في
سورة النساء (أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ
الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ^{قل}
وَإِنْ تُصِيبَهُمْ حَسَنَةٌ^ب يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ
اللَّهِ^{صل} وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ^ب يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ
عِنْدِكَ^ج قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ^{صل} فَمَالِ
هُؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ
حَدِيثًا (٧٨)

ولكن الهرب من نزاعات وصراعات
لا تنتهي

الجميع يريد إثبات أنه صاحب الحق
والطرف الذي يؤيد محق

النقاش معدوم الصراخ بالصوت
عالي سائد حتى يرغم الخصم على
الصمت والأكثر شطارة من يرفع
صوته أكثر لم أرى نفسي في هذا
الجدال لأنني لا أتقن الهمجية التي
أصبحت سائدة وخوف أُمي كان
كبيراً من أن يحصل لي مكروه كلما
ذهبت إلى كليتي كنت أخاف عليها
ولكنني مؤمنة بقضاء الله وقدره

وخاصة أننا نعيش في حرب ليس
على رأس أحد خيمة مثلما يقولون
أي أن الجميع معرض لهذا الخطر
قررت أمة السفر لبلاد مجاورة
لبلادنا كانت تظن أنها تبحث عن
الأمان ولكن للأسف الشديد الواقع
كان مختلف كل الاختلاف

لم يكن باستطاعتنا الدخول لتلك البلاد
بشكل نظامي فقررنا الدخول مع
الناس الهاربة أيضاً بشكل غير
شرعي تم القبض علينا ووضعونا
بخيم في مخيمات كانت هذه اللحظة
الأكثر ألماً بالنسبة لي كيف لي أن
أعيش بخيمة بالطريق

هناك الكثير من الهاربين دخلوا البلاد
المجاورة قاموا بإجار البيوت والبحث
عن عمل

كنت أرغب أيضاً بذات الشيء ولكن
تم القبض علينا

حكمة من عند الله

ولكن معاناتي كلاجئة في هذه الخيمة
أكبر بكثير من أني لو بقيت في بلدي

معاناة لاجئة

نعم أنا لاجئة باحثة عن الأمن
والأمان ولكن لم أحظى بهم لست
الوحيدة ولكن أحكي تجربتي التي
مررت بها ومر بها الكثير من
اللاجئين

لأنني وفي هذه الخيمة كنت أعاني
الخوف الأكبر من أن أغتصب لأنني
فتاة وأمها وحيدة تفكيرهم الدائم بي
على أنني رخيصة يحق لهم فعل ما
يرغبون بي

يظنون أن حاجتي ستجعلني أقدم
التنازلات وأرخص نفسي ولكن في
قرارة نفسي دائماً أقول الموت ولا
المذلة ولكن انتظر بحذر كنت أنا
وأمي ننام بالتناوب حتى لا أحد يغدر
بنا تمر الأيام والليالي وأنا كل يوم
أحاول فيه الخروج من هذا المكان
ولكن ما باليد حيلة كان موفر لنا
الطعام والشراب ولكن إحساسي
بالذل يجعلني أغص ألف غصة
ولكني مجبرة كنت أظهر القوة لأمي
حتى لا أحملها حزناً فوق طاقتها
يكفيها ما تحمل

ولكن بداخلي حرقه على بلدي المدمر
على نفسي المحرومة من أبسط
حقوق العيش على دراستي التي لم
أكملها حلمي الذي ظننت أنه ضاع
مني حد اللحظة هذه

أذكر دائماً قوتي التي وقفت بها أمام
عائلتي وتمردت فيها على واقعي
سابقاً اتمنى أن تعود ولكن على من
سأتمرد؟

على بلد ظننت أنها حضنتنا كلاجئين
وهم يقومون بسرقة المؤن التي كانت
تأتي من غير بلاد للمساعدة لنا
ويعطونا الفُتات منها لا أدري إن كان
الحال في جميع المخيمات هكذا

ولكن أنا متأكدة أنه لن يكون أفضل
من هذا الحال بكثير

معاناتنا في فصل الشتاء فصل آخر
قاسي عندما حل الشتاء علينا بالخير
كانت تغرق المخيمات بالوحل
والطين كانت تطير تلك الخيم الخفيفة
من شدة العواصف كنت أحاول دائماً
تنظيف حذائي وملابسي كنت أغسل
وجهي دائماً لأنني لا أرغب بأن
أظهر بصورة المتشردة

فأنا لاجئة حكمت علي ظروف الحياة
بأن أعيش هنا ولكني لست راضية
كنت أكره كاميرات الصحافة عندما
تأتي للمخيم وتصور كيف تقدم
المساعدات ويصدرون صورة كاذبة

عن حالنا كنت أنا أقوم بتعليم الأطفال
القراءة والكتابة حتى أساعدهم لعدم
توفر المدارس

لم أكن أرغب أن أطفال صغيرة تكبر
في هذه الحياة فقط على ما يرغب أن
يعلمهم إياه هذا المجتمع كيف يأخذ
بالتأثر وكيف يحمل السلاح وكيف
وكيف

معاناة كثيرة سردها يطول ويطول
ولكن تختفي الكلمات التي تعبر عنها
لأنها أشد قسوة من كل الكلمات التي
أمتلكها للتعبير

زواج

نعم أنا لاجئة ولكني لست رخيصة
لأن أبيع نفسي

ذات يوم أتى رجل شكله غير مريح
للنظر وقف أمام خيمتنا ونادى لأمي
يا سيدة أرغب بالتحدث معك وقفت
أمي أمام الخيمة وقالت
" تفضل ماذا تريد "

" هل هنا سنتحدث أيتها السيدة "

كنت أراقب وأسمع بصمت

" أجل هنا ماذا تريد "

" أنت وابنتك تعيشان هنا ؟ "

" نعم وما الغريب "

" لا ليس هناك بغريب ولكن أرغب
بمساعتك "

"كيف ولماذا تساعدني أنا من بين
الجميع "

"ما رأيك بتزويج ابنتك بمبلغ جيد"
"ماذا تقول كيف تجرأ وتحدث معي
بهذه الطريقة "

"انتظري واسمعي للنهية هناك رجل
ثري جداً يرغب بالزواج كان هنا هذا
اليوم في الصباح ورأى ابنتك ويريد
أن يتزوجها ويدفع لك مبلغ من المال
تستطيعين الخروج فيه من هذا
المخيم"

صدمة أمي جعلتها تلتزم الصمت
لثواني

راودني أحساس في تلك

اللحظة أن أمي سوف تضعف ليس
لأن تقوم ببيعي كسلعة ولكن ظناً
منها أنها تؤمن حياة أفضل لي وفجأة
صرخت أمي بوجه الرجل وقالت
"أذهب من هنا ابنتي ليست سلعة
للبيع"

ردد قائلاً

"خمس ملايين ليرة ليست قليلة
ستغيرين رأيك"

هنا لم أعد أتمالك نفسي وخرجت
من خيمتي ووقفت بوجه الرجل

"اسمع أيها الرجل أذهب من هنا فأنا
لا أرغب بالزواج"

كنت أرغب أن أختصر وجوده أمام
خيمتنا وإذ به يقول

"اليوم عرضنا المال غداً ستأتين
بنفسك ولكن دون حتى قرش واحد"
كان يظن أنني سأستسلم له أو لغيره
"لا تكن واثقاً من نفسك لهذه الدرجة
ستنتظر طويلاً دون جدوى"

لمست في عينيه الغدر والتحدي ولكن
لم أبالي ف الله معي ومن كان الله
معه لا يخاف أحداً

في تلك الليلة أيقنت أن الخطر بات
قريب وأن هذا الرجل سيفعل
المستحيل حتى يكسرني فقررت أن
أبحث عن طريق الأنترنت عن
أشخاص يهربون الناس إلى أوروبا
لأنها الطريقة الوحيدة التي أستطيع
فيها الهرب من هذا المكان وجدت
شخص والحمد لله أن هذا الشخص
كان صديقاً لي منذ طفولتي ولكن
بسبب ظروف حياتي انقطعت
الاتصالات منذ أكثر من ثلاثة عشر
سنة

سبحان الله الذي يسخر لنا الأشخاص
لمساعدتنا وكيف أن هذا الشاب تذكر
أننا كنا أصدقاء طفولة

تحدثت مع أمي وشرحت لها كل
شيء وافقتني الرأي وبدأنا التخطيط
للهرب

جاد صديقي هو العون الوحيد لي
حتى أخرج من هذا المكان تحدثنا
عن حالنا وأحوالنا وقصصت عليه
قصتي من البداية للنهاية كانت ليلة
طويلة استعدت فيها الماضي كله
وحكا لي عن حاله كثيراً

المهم أنه شرح لي كيفية الخروج من
المخيم واتفقنا على كل شيء رغم
خطورة الوضع ولكن إنها مرة واحدة
سأموت لذلك سأحارب حتى النهاية

في صباح اليوم التالي حصل ما كنت
أتوقعه بدأ ذلك الرجل بمحاربتنا
ولكن خطوة خطوة عاد إلينا وسألنا
إن كنا قد غيرنا رأينا
وبوقاحة يقول

"إن كنت ترغبين أستطيع رفع
السعر"

وكانني أمامه بضاعة للمتاجرة لم
أتمالك نفسي وصفعته صفة قوية لم
يستطع فتح فمه لأنه كان خائفاً أن
يعلم بسرّه أحد لأنه يفعل ذلك متخفياً
كنت أرغب بالشكوى عليه ولكن ليس
بيدي دليل

المهم كنت أحاول أن يمر هذا النهار
ويحل الليل حتى أخرج من هذا
المستنقع

حلّ الليل واستطعنا الهرب ولكن لم
يكن الأمر بتلك السهولة ولكننا
تجاوزناه

والحمد لله ولكن قبل أن أذهب تركت
رسالة أمام كل خيمة كتبت فيها
"انتبهوا على أنفسكم فهناك من يريد
بكم سوء هناك رجل اسمه كذا يريد
بيع بناتكم أنا أنقذت نفسي حاولوا أن
تتقذوا أنفسكم"

أعلم أن هذا الأمر حصل وهناك من
باع بناته بحجة تأمين حياتهم وعادوا
إليهم مطلقات وحوامل وحتى أنهم تم
بيعهم لغير أزواجهم أي تمت
المتاجرة بهم رغماً عنهم وهناك من
كانت مثلي رافضة المذلة وانتصرت
عليهم ولكن تعذبت حتى الموت

رحلة الموت

نعم اسمها رحلة الموت بعد أن قابلت
جاد شرح لنا أن هذه الرحلة خطيرة
ومن الممكن أن يحصل كل شيء
معنا لم يكن هناك شيء نخاف منه
ولا عليه ليس معنا أطفال نحملهم
أن لا يحل بهم مكروه اتخذنا أنا
وأمي القرار ووافقنا على تلك الرحلة
بدأت رحلة لجوء جديدة استمرت
رحلتنا على الطريق ل بضعة أيام
عانينا فيها كثيراً ولكن أصعب ما
مررنا به هو لحظة الركوب بقارب
الموت الصغير وعلى متنه أكثر من
ستون فرداً وأصوات الدعاء تعلو بأن

ينقذنا الله من هذه الدوامة وأن نصل
على شط الأمان

الحمد لله وصلنا على البر سالمين
ولكن لن أنسى لحظة سقوط طفل من
يد أمه في البحر صراخها ألمها
بكائها دون جدوى فقد ابتلع البحر
طفلها

لحظة قاسية حمدت فيها الله أنني لا
أحمل هم طفلٍ رغم خوفي على أمي
ولكن الحمد لله أنه نجانا من هذه
الرحلة

حطينا رحالنا في هذا البلد وقدامنا فيه
لجونا

كانت أمي مريضة وبسبب مرض
أمي أعطونا منزل صغير يكفيني أنا
وهي

لاجنئة ولكن (٢)

هذه المرة نعم أنا لاجنئة ولكن فعالة
أول خطوة قمت بها بعد تقديم كل
الأوراق الثبوتية هي أنني طلبت أن
أدرس لغة البلد الذي أنا فيه وبعد ٦
أشهر اتقنت اللغة بشكل جيد جداً
كنت أدرس ليل نهار حتى أثبت
وجودي وأثبت للعالم أجمع أنني نعم
لاجنئة ولكن استطيع فعل الكثير
بعد الانتهاء من دراسة اللغة قدمت
شهاداتي التي كنت أمتلكها وترجمتها
للغة البلد التي أعيش فيها وأكملت
دراسة الطب وتم تكريمي بسبب
تفوقي الحمد لله

لست الوحيدة بل هناك الكثير من
أثبت أننا لاجئين ولكن فعّالين كنا
مجبرين على لجوئنا ولكننا لا نرضى
أن نكون عبئاً على أحد

بعدها بدأت تسير الحياة بشكل طبيعي
أعمل لساعات طويلة أعود لأرى
أمي أصحو في اليوم التالي لأكرر
يومي طبعاً لم يكن كل شيء وريدياً
ولكنه أفضل حالاً ألف وألف مرة عن
حياتي في تلك الخيمة

رسالة لك عزيزي القارئ

كل ما دار في هذه الرواية جزء
بسيط من الواقع الحقيقي الذي مر به
بلدي وأبناء بلدي

بلدي كان حاضناً لكل من طلب
العون أثناء أزمات بلادهم ولكن
عندما سقطت كثرت السكاكين حول
عنقه

بلدي فتح للاجئين من غير البلاد
المدارس والبيوت وحتى المخيمات
ولكن مخيمات بلدي كانت بيت تأوي
صاحبها في عز البرد
بلدي كان مضيافاً خيراً دون أن يمنّ
على أحد

شعب بلدي فتح أبواب بيته للقادمين
من دول الحرب دون أن ينتظر
المقابل كلنا أخوة دائماً كانوا يقولون

ولكن ابن بلدي عندما هاجر أو
أجبرته الظروف أن يكون لاجئ ذاق
طعم المر وهو يسمع أهل البلد وهم
يقولون

ليرحل هذا اللاجئ إلى بلده وكأنه
سعيد بالعيش في خيمة

أو حتى إن كان في منزل ويعمل كان
يحسد حتى على عمله لأنه كان
يرضى بالقليل حتى يأمن قوت عيش
أطفاله كانوا يقولون السوري أخذ
رزقنا والأرزاق مقسمة من صاحب
الرزق الله الواحد الأحد طبعاً ليس
الجميع ولكن نسبة كبيرة في تلك
المجتمعات

لم تنتهي المعاناة ولا زالت مستمرة
وسط صمت عالمي وليس عربي فقط
وشكراً

...تمت بإذن الله...

لا جئة ولكن!!



لاجئة ولكن!!

حالة من الخوف والرعب تعم المكان بدأت الحياة
تراجع للوراء أصبحنا نشعر دائماً أننا على حافة
هاوية في أي لحظة ممكن أن نسقط فيها
معاناة كثيرة مررنا بها
وكاننا اعتدنا على مشاهدة المشاهد الصعبة حتى
أمام أعيننا.